اجتهادات
قوةُ الضعف

لا يكونُ القوى هو الأقوى دائمًا، وإلا ما انتصر الضعيف الذى يقاتلُ ضد احتلالٍ أجنبى فى معارك كثيرة. فى كل ضعفٍ نقاطُ قوة. وكل قوةٍ فيها مكامن ضعف. وهذا هو الأساس الذى تقوم عليه فكرةُ المقاومة التى تكون عادةً أضعف ممن تُراد مقاومته. تسعى المقاومة فى المعارك غير المتكافئة إلى استهداف مكامن الضعف لدى من تقاومه، وتعظيم نقاط القوة التى تملكها مهما تكن محدودة.

وهذا ما نتابعه فى مقاومة العدوان الإسرائيلى على قطاع غزة. لا تستطيع المقاومة مجاراة الأنظمة التسليحية والتقنية الحديثة والمُعقدة. ولهذا تسعى لإعاقتها أو تعطيلها أو إعطابها, وتحاول تعويض تواضع أسلحتها اعتمادًا على تكتيكاتٍ عسكرية مُبكرة, وبسالة المُقاتلين وقوية إيمانهم بقضيتهم واستعدادهم للتضحية فى سبيلها، وامتلاكهم قوة أخلاقية مستمدة من دفاعهم عن وطنهم وأرضهم ضد الاحتلال الأكثر بشاعة فى التاريخ الحديث.

يعجبُ من لا يدرك ما تعنيه القوةُ الأخلاقية حين يحاول تفسير صمود المقاومة الأسطورى لأكثر من شهرين أمام عدوٍ يعتمد على قصف إجرامى غير مسبوق فى كثافته لأن جنوده يخشون المواجهات المباشرة على الأرض. لا تملك هذه المقاومة، فى المعارك داخل القطاع، سوى قذائف صاروخيةً مُتواضعة وصواريخ أرض-أرض محلية الصنع أو مُطوَّرة من سلاح آربى جى المشهور والمحدودة فاعليته أصلاً فى مواجهة المدرعات. قذائف تاندوم 85 مُعدَّلة محليًا، والياسين 105 التى تُعد نسخةً مُطوَّرةً منها, هما الأبرز والأكثر استخدامًا كما يظهر فى الفيديوهات التى تبثها كتائب القسام. تتميز الياسين 105، كما نلاحظ، برأسٍ مدببٍ مزدوج يجعلها أكثر فاعلية، لأنه يحتوى على عبوتين تخترق الأولى منهما الدبابة، وتُحدث الثانية انفجارًا لضمان تدميرها أو على الأقل إعطابها. وتُستخدم أيضًا قذائف تى.بى.جى7، وهى تطوير آخر للآر.بى.جي، لاستهداف مشاة يتحركون بحذر، ولاختراق تحصينات معينة. وتستخدم المقاومة أيضًا للمرة الأولى صواريخ رجوم 114، التى تُعد تطويرًا للكاتيوشا المشهورة. أما العبواتُ الناسفة فأهمها الآن شواظ 7 المضادة للدبابات والمدرعات والأفراد، والتى يبدو أن اسمها مُستمدُ من قوله

تعالى: (شواظٌ من نارٍ ونُحاس). وربما نعود لاحقًا بتفصيلٍ أكثر إلى هذه الأسلحة المُتواضعة وغيرها.